

مرثية جيكور

أين محمود؟ ليس محمود في الدار ولا الحقل!

يا أبا محمود

ناد محمود . كاد ان يهتف الديك وما زال جمعنا في الوصيد
قل له 'يرز الدماء فانا في انتظارها وشوق ميدي'
ذرت نجم الصباح . محمود ، محمود ، آقبلت بالدم المنشود ؟
أي جرح ينز منه الدم الموار في باب دارك المرصود ؟
انه منك ! منك هذا الدم الثر ومن جانب العروس القديد !
الصليب ، الصليب ! إننا رأيناه وقد مر كالحبال الثرود ،
قد رأيناه في الصباح . وفي الليل سمعنا كقعقات الرعود .
أهو هذا الذي يريدون ؟ أشلاءً وأنقاض منزل مهدود ؟
أفما قامت الحضارات في الأرض كعقلاء من رماد اللجود ..؟
لا ولم 'تفرخ العقول على المجهول يسبرن فيه غور الوجود ؟
أو يشق العباب قلع يصك الريح صكاً إلى البعيد البعيد ؟
أو يلمّ النسيم عقداً من النور ويذروه باقة من ورود
ساحر فبجر المدى عن مدى ملآن باللحن مترع بالنشيد ؟
أو تدق الأجراس : « بأرض ، بإبشراك بالحب والمسيح الوليد »؟

يا صليب المسيح أفاك ظلاً فوق (جيكور) اطائر من حديد
يا لظل كظلمة القبر في اللون ، وكالقبر في ابتلاع الحدود
والتهام العيون من كل عذراء كعذراء (بيت لحم) الولود .
مر عجلان بالقبور العواري من صليب على النصرى شهيد
فاكنت منه بالصليب الذي ما كان إلا رمز الهلاك الأبيد :
لا رجاء لها بأن يبعث الموتى ولا مامل لها بالجلود !
ويل جيكور ؟ أين أيامها الخضر وليلات صيفها المفقود ؟
والعشاء السخي في ليلة العرس وتقبيلة العروس الودود
وانتظاره له على الباب ..؟

- « محمود ، تأخرت يا أبا محمود

ناد محمود ! »

ثم يوفي على الجمع بمندبل عرسه المعقود
نقطته الدماء يشهدن للخدر بعذراء . يا لها من شهود ؟
لا على العقم والردي ، بل على الميلاد والبعث والشباب الجديد !
أي صوت يصيح : « محمود ، محمود ، تأخرت ! » كالنواح البعيد ؟

١ جيكور : قرية الشاعر في جنوب البصرة

٢ من التقاليد المتبعة في الريف العراقي أن يبرز العريس في ليلة العرس مندبلاً ملطخاً بالدماء يشهد على أن العروس عذراء !

جداً ، تلمسني بأصابع النار . ما كنت تعرف ذلك من قبل . ما هذا التوقد الوحشي
في نظراتك ؟ إنها النار التي كنت اراها في عيون سكاراي . لا تقدم بهذه
الرواحة ، هذا الاحياء . ابن خجلك الطفلي ؟ ما كنت تجرؤ على لمس
يدي ... والآن ... انك تعريني .

رجا تخفي سكينك في مكان ما ، متلمع البس كذلك ، فوق عنقي فجأة .
الهدا تداعيني ؟ حسناً ليست هذه قبلات . اتمتص حياتي ؟ اهذه طريقتك
في قلتي ؟ يا لقوتك الحشنة ، لذيدة شاقة . إحذر يا ابراهيم ، فسألوك ...
ايها الأسفلت . لم يرض حيبي ان يدنس سكينه بدمي . لمنهم جميعاً
انوفون اليوم . يمتقرونني ولا يقتلونني . اما يشمرون انني رجعت اليهم
بنفسي . ما كنت ادري انني عائدة للعقاب . او انني على الاقل رجعت ههنا
لألف سبب . ولا ريب . مجرد فرار .

ايها الأسفلت ، قليلا ونجف هذه القطرات من دمي الباقية عليك . ايها
الأسفلت الأحمر ، لم يقبل احد ان يدنس سكينه بدمي ، إلا انت .
اصطبغت بي ، بين المجلات وصخب البحر . والدية ، سيأخذونها ولا شك .
هذا عقابي ايها الأسفلت ، لن يدنس احداً : اسداً ، ليس كذلك ؟ ١ .

مطاع صفدي

دمشق

١ اشخاص القصة خيالية وكذلك حوادثها (الكاتب)

جديداً يناسب مدينتك ، وطريقتك في سلوان حياتك . وانا لي عزائي .
هو ألا يكون لي عزاء البتة . وهذا هو الفرق بين نوعين من لاجئين ..
اتدري يا اخي انني لم اعد استطيع الفصل بين لاجئين وملجئين . إننا
جميعاً نكاد نصبح لاجئين .

الآن .. وبعد عودتي من غيبتي الطويلة ، انا انزل الطين . وابواق
السيارات ترعق على طريق الأسفلت . والاسفلت الناعم اللامع عليه دماء طفل ،
اطفال ، من يدري ؟ وبالقرب منه نجح لا يحس بشيء . وانا هذه المشوقة ،
المصبوغة الوجه بألف لون ، الفاتنة وثياها الحمرية المبتلة على جسدها ، تظهره
اكثر مما تستره . هذه المرأة الباقية من الحوادث اللابدوية ، الضفيرة العنوج
من الشبق المغموم . هذه الانسانة المجرمة جداً ، المخطئة جداً ، الضالة ، المبدعة
في الحرام . هذه تستقبلونها جميعكم ، وتدعوونها تقيم بينكم شهوراً جديدة .
لكم تحسون بخطاياها . ولا احد يدري انه يحس ذلك . اين القصاصون
منكم . اين من يجرؤ على العقاب .. حتى هذا ضعفتم عنه !

وانت يا ابراهيم ، لا ادري في عينيك لي إلا الحب ، إلا الخشوع
والاستعطاف . ماذا دهاك .. الا تعلم انني عدت لسكينك ، سكينك
المجلدة ، بدون صدأ . الا ليك تدري كم انا صغيرة بدون هذه السكين !
هذه اللبلة ، سمراء هادئة . وانت تلج علي كوخني النائي ولا تطرق له
باباً . تأملني ، ليس لي ما يدهشك . اقترب ، كالجحيم من كافر خاطيء تحسنني

لا ولم يُختم الزجاج على كل (هرقل)^٣ من العقار الأكيـد
يخنق الموتَ كلما همَّ بالناس ويحتاج كاسرات الأسود ؟
لا ولا قيسَ بعد ما لفه الليل من الارض واحتوى من حدود
بالذي قاس حافة الساعة القوراء في قرصها ذراعاً حديد ؟
أو يفض الظلام ؟ - إلا لكي تندك (جيكور) بالسلاح الجديد؟
كي يراها على اتساع المدى والشاؤ من ليس طرفه بالحديد ؟
من وراء المحيط والليل والغابات والبيد والذرى والسدود ؟!
أين من سأل (جين) أطمار (كثوم)؟ وأين الغضا من الار كيد ؟
فيمَ أسرى صحاب (جين) المغاوير إلى زوج (كلم) المنكود ؟!
يا رماداً تدره الزعزع الشعثاء في مقلة القمير الوحيد ،
أنت (جيكور) كل جيكور: أحداق العذارى وباسلات الزنود
والرؤوس التي حثا فوقهن الدهر ما في رحاء من تنكيد :
صرّد القمح من نثار لها اللون ، ولم تحظ بالرغيف الوئيد
فهي صحراء تفر الملع آهات وشكوى ، لماها الموثود !
خورس^٤ :

شيخ اسمُ الله .. ترلا
قد شابَ تولّ تولّ ترار .. وما هلا
ترلا ... العيد .. ترلا
ترلا .. عرس (حمادي) ،
زغردت تولّ تولّ
الثوب من الريز ... ترلا
والنقشُ صناعةُ بغداد

إنها الريح ! فاملئي الريحَ يا جيكور بالضحك او نثار الورود !
قطب الصمت حيث كانت أغانيك ، وحيث العبيرُ تنن الصديد .
جاء قرنٌ وراح والمدن في ضوضاء ، ما زلن من حساب النقود ،
ضاق صوتُ الضعاف فيها وآهات النبيّين وابتهاال الطريد
واستحال الفضاء - من ضجّة الآلات فيها ومن لهاث العبيد -
غير هذا الفضاء : شيئاً لغير الآدميين - ربما للقرود ...
ربما للذئاب والدود والأذنى من الدود في الحضيض البليد !
ظلّ ذلك الضجيج كالجيفة الحبلي بما ليس غير عقم الولود ،
ثمّة التّمّ في كرات من النار ... فألقى عليك صمت اللحود !!

٣ هرقل الجبار ، خنق الموت وذلّل الأسود الكاسرة .

٤ يعني الخورس أغنيتين عراقيتين شعبيتين : (شيخ اسم الله) نبات
كالخلفاء تؤكل أزهاره وهي في براعمها ، وتتفتح عن سنابل تشبه الرؤوس
التي شابت .

لا عليك السلام يا عصر (تعبان بن عيسى) وهنت بين العهود !
ها هو الآن فحمة تنخر الديدانُ فيها فتلططي من جديد :
ذلك الكائن الخرافي في جيكور ، (هومير)^٥ شعبه المكدود
جالس القرفصاء في شمس آذار وعيناه في بلاط (الرشيد) ،
يمضغ التبغ والتواريخ والاحلام ، بالشدق والحيال الوئيد
ما تزالُ (البسوس)^٦ محمومة الخيل لديه ، وما خبا من (يزيد)
نار عينين ألقاها على (الشمر)^٦ ظللاً مذبحات الوريد !
كلما لزّ شمره الخيل او عرّى ابو زبيده^٧ التحام الجنود
شدّ راحاً وأطلق المغزل الدوار يدحوه للمدار الجديد !
وانتهى من حديثه الضخم عن ضخّم من الغزل ، وانتهى من قعود
نصف عريان يسحب الطرف من صدر تعرّى وعن قميص فقيد
غير بقيا على فم دق حتى عن فم العنكبوت ، في رأس عود :
مغزل ينقض الذي حاكه النول ، وجهه اضاع شتى جهود
فهو كد وليس بالكد ، أردى قبله اثنين وادعى بالمزيد -
حاضر غير حاضر ، منه للماضي فناء وللغد الموعود !
لا عليك السلام يا عصر (تعبان بن عيسى) وهنت بين العهود
انت أيتمت كل روح من الماضي ، وسودت آلة من حديد
تسكب النسم واللظى لا حليب الأم او رحمة الاب المفقود :
سّم في الحضيض أعلاه - مرقاه المنخاض وإن بدا كالصعود
حدقت منه الورى مقلتا (فوكاي) تستشرفان أيام (هود)
والمسيح المبيع نجساً بما لو يبيع لحماً لئاء عن تسديد !
حدقتي حيث شئت ، يا عين (فوكاي) المدماة ، من مداك المديد !
فهي سوقُ تباع فيها لحومُ الآدميين دون سلخ الجلود :
كلُ أفريقيا وآسية السمراء ، ما بين زنجها والهنود
واشترى لحم كل من نطق الضاد تجار تبعه لليهود !
هكذا قد أسف من نفسه الانسان وانهار كأنهار العمود
فهو يسمى وحلمه الحبز والاسمال والنعل واعتصار النهود !
والذي حارت البرية فيه^٨ بالتأويل ، كائن ذو نفود !

بغداد بدر شاكو السيّاب

- ٥ هومير : الشاعر الأغرريقي الأعمى .
٦ الشمر : قاتل الحسين ، وتصوره القصص مرتدياً ثياباً حمراء اللون .
٧ أبو زيد الهلالي .
٨ قال المرعي : والذي حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد